حول المعاني اللغوية لأسماء المدن والقرى وأحواضها في الأردن

أستاذ الشرف–جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية

مجمع اللغة العربية الأردني

الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم

الملخص

من المعروف أن منطقة الهلال الخصيب ووادي النيل من أقدم مناطق العالم التي سكن فيها الجنس البشري بشكل متصل، وأقاموا فيها حضارات، ودجنوا فيها الحيوانات، واستنبتوا فيها مختلف الزراعات. ولحفظ حقوق الأفراد والمجموعات والأنظمة كان لا بد من مسميات تطلق على المناطق الجغرافية المأهولة أو قيد الاستعمال أو ضمن دوائر النفوذ. ولأن أكثر أرض الأردن كانت مسكونة أو مستغلة على مدى عشرات القرون، ولأسباب عديدة كانت تعمر مناطق في عصر وتهجر في عصر آخر، فإننا نجد في الأردن وبخاصة في شماله عددا كبيرا من هذه القرى، بعضها هجر منذ مدد مختلفة نسميها خربا (جمع خربة)، وبعضها تحول إلى قرى ومدن تغص بساكنيها. فلا عجب أن نجد وفرة في أسماء القرى والأحواض تدل على ذلك. وجل هذه الأسماء قديم، قد يمتد في التاريخ إلى أيام الآراميين أو قبل ذلك.

قام الباحث ركاد نصير بالبحث في أسماء القرى والأحواض، محاولا أن يجد معانيها، وأثمر جهده في كتاب في كتب دعمت نشره وزارة الثقافة، في 584 صفحة. وهذا البحث معني بتقديم هذا الكتاب وأهمية موضوعه، ودعوة للباحثين للغوص في هذا الموضوع، في مختلف قرى الأردن ومدنه؛ لقراءة تاريخها الخاص، وجغرافيتها، ومشاهيرها، وما تميزت به في التاريخ القديم والحديث. كما يهتم ها البحث، بوجه خاص، ولأسباب واضحة، في بلدي الحصن، تاريخا وسكانا وغير ذلك.

مقدمة

تُعنى هذه المقالة كما في الملخص بتقديم عمل يستحق التكريم والإشادة به. وهو عمل الأستاذ ركاد نصير رحمه الله (توفي في صيف 2014) وعنوانه "المعاني اللغوية لأسماء المدن والقرى واحواضها في المملكة الأردنية الهاشمية". وهومن منشورات وزارة الثقافة سنة 2010، وإن كان المؤلف انتهى من تحضيره سنة 1993. وهو عمل ضخم يقع في 682 صفحة. ولذلك ستكون مقالتي حول الكتاب دون أن أغوص في ثناياه. سأقدم أولا نبذة عن الأردن. سأختار من كل محافظة مثلا لما قام به الباحث. وأخيرا أتناول تاريخ مدينتي الحصن، منذ قديم الدهور.

الأردن

في المعجم نجد معنى كلمة الأردن النعاس الغالب. وقال الشاعر

قد أخذتني نعسة اردن　　　　وموهب بها مبز مصن

وقوله مبز أي قوي عليها، ويمدح موهبا على أنه قوي قادر على دفع النعاس وإن كان شديدا.

والأردن أحد أجناد الشام، التي كانت تقسمها بالعرض، قبل أن يقسمها سايكس وبيكو قسمة ضيزى، قسمة القرد لقطعة الجبن؛ وهو اسم نهر في الشام . وقد سكن الأردن قبل الفتح الإسلامي قبائل هاجرت من اليمن منها بلى وقضاعة، وكانت تابعة لمملكة الغساسنة. ولا تزال عدد من قبائل الأردن ترجع بنسبها إلى الغساسنة بافتخار. وربما اشهر التابعين من الأردن هو موسى بن نصير، والي أفريقية وفاتح الأندلس. وأصله من قبيلة بلى. ويظن الناس أن قرية أبو نصير سميت على اسمه.

ونبغ من الأردن جماعة. نذكر منهم من العصر الأموي حُبيس بن دلجة القيني، من قادة الجيوش في العصر الأموي، وشهد صفين مع معاوية. قتل في الربذة (من قرى المدينة) سنة 65 هـ. ومنهم سليمان بن سعد الخشني بالولاء. وهو أول من نقل الدواوين من الرومية إلى العربية أيام عبد الملك بن مروان. كما عرض على هذا الخليفة نقل الحساب، فأمره بذلك وولاه جميع دواوين الشام. ومات سنة105 هـ. ومنهم عُبادة بن نسيّ الكندي، قاضي طبرية، وكان يعرف بسيد الأردن. ولاه عبد الملك بن مروان ثم عمر بن عبد العزيز.

وتوفي سنة 118 هـ. ونُسب إلى الأردن جماعة من العلماء ورواة الحديث الشريف. منهم الوليد بن مسلمة الأردني، وعبد الله بن نعيم الأردني، ويحيى بن عبد العزيز الأردني، وغيرهم.

والأردن بحدوده اليوم هو من نتاج اتفاقية سايكس بيكو التي قسمت بلاد الشام والعراق بين فرنسة وبريطانية التي حالفت العرب بقيادة شريف مكة الحسين بن علي وغدرت به. وبدلا من أن يتقاسم مع المنتصرين الغنائم صارت بلاد العرب غنيمة لهم وحدهم. وقد تأسست إمارة شرق الأردن بقيادة الشريف عبد الله بن الحسين سنة 1921 تحت الانتداب البريطاني. وحصلت على استقلال سنة 1946 وصارت المملكة الأردنية الهاشمية. وقد توحدت مع الضفة الغربية سنة 1950 بالاسم نفسه. ثم احتل العدو الصهيوني الضفة الغربية كاملة وأجزاء من شرق الأردن. وفي سنة 1988 صار فك الارتباط مع الضفة الغربية، التي صارت بعد اتفاقية أوسلو سنة 1993 تحت سلطة وطنية في نظام معقد يحفظ للمحتل امتيازاته.

وتقسيم الأدن إداريا هو إلى محافظات. وتقسم المحافظة إلى ألوية. وقد يقسم اللواء إلى أقضية. وقد زاد عدد السكان من حوالي ربع مليون سنة 1922 إلى عشرة ملايين بسبب النمو الطبيعي والهجرات الكثيرة. ولا يزال الباب مفتوحا. وبدأ الأردن الحديث قرى وبدوا، دون وجود مدن. وهو الآن مدن تضم أغلب السكان، وقرى كثيرة. ولا يوجد بدو رحل كما كان. وربما كان الأردن أول دولة تحل مشكلة النور الرحل عندما منحتهم الجنسية. ومع زيادة السكان فإن المساحة لم تزد. وتقلصت مساحة الأرض الزراعية كثيرا بفعل زحف البناء في المدن والقرى.

نماذج من أسماء القرى ومعانيها

محافظة اربد

تحوي محافظة اربد أكبر عدد منم القرى مقارنة بغيرها من المحافظات، ومن ثم عدد السكان إذا استثنينا العاصمة عمان. ومن قراها: **أبو اللوقص أو ابو اللوقس،** او باللفظ العامي بلوقس. ولقِص جلده ولقِص الشيء إذا ضاق. ولقصت نفسه غثت وخبثت. واللقص الضيق، وهو أيضا الكلام السريع إلى الشر. واللقيس (بالسين) المتأخر عن وقته. وتشتق العامية فعل (تلقّس) أي تأخر عن وقته. ويقول الفلاحون عن الزراعة

المتأخرة عن وقتها (لكسي)، والفعل لكّس. وكان ابي يرحمه الله يكثر من زراعة اللكسي. واللقس واللاقس العياب الساخر.

وقد تكون (أبو اللوقس) مركبة من كلمتي أبيلا ولوقاس. وأبيلا هو الاسم اليوناني لقويلبة. وفي العهد الروماني نجد اسم (ليوقاس) في كتاب "مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية" لجونز وترجمة إحسان عباس (ص 131)، وتعريفها :إن القول بأن ليوقاس هو اسم آخر لأبيلا مقبول لدى معظم النميات. ولكنه يستند إلا إلى كلا منهما تقع على نهر اسمه خريسورهواس. ولكن هذا اسم شائع لغير نهر واحد. فهناك نهر بهذا الاسم عند جرش".

ويرجح الأستاذ ركاد نصير أن (أبو اللوقس) مركب من أبيلا وليوقاس. أما أبيلا فلفظها العرب إبل، وسموها إبل الزيت. وقال ياقوت الحموي: " وفي الحديث أن رسول الله (صلعم) جهز جيشا بعد حدة الوداع، وأمّر عليهم أسامة بن زيد. وأمره أن يوطئ خيله إبل الزيت منم الأدهان بالأردن من مشارف الشام". ومعروف أن هذه المنطقة مشهورة بزيتها حتى اليوم. ولأبي اللوقس ثمانية أحواض هي: البساتين والكومة والزويّة والبيادر وعراق الرماح والبلد ومنزل والعلاة.

ايدون

إذا كان أصل كلمة ايدون عربيا فقد يكون من آد (ايد) بمعنى القوة والشدة. والإيدة اسم للشهر السابع عند العرب. وإن لم يكن عربيا فقد يكون من ديون إحدى مدن الديكابوليس في مطلع حقبة التاريخ الميلادي، ولو أن الآثاريين يميلون إلى أن ديون هي الحصن لأسباب نذكرها عند الحديث عنها. كما أن كلمة أدون الكنعانية تعني السيد الذي حُرّف في اليونانية إلى ادونيس أحد الأوثان.

وتقع ايدون الحديثة على حدود مدينة اربد الجنوبية. وصارت ارضها الزراعية نهبا للمباني وامتداد اربد الكبرى إلى الجنوب. وعدد أحواضها سبعة وعشرون. ولا نجد في أكثر أسمائها دلالات ذات قيمة؛ إلا لبعضه. ودون أن نعرف تاريخ هذه الأسماء وتغلغلها فإن الحديث فيها يبقى ظنا. مثلا حوض كريزم. لغة، الكرزم هي الفأس العظيمة، أو التي ليس لها حد واضح. لكننا نعلم أن أبو صالح كريزم كان شيخ قرية اربد سنة 1766 كما في وثيقة عثمانية عندي نسخة منها. وحوض رباع الشومر ربما نسبة إلى نبات الشومر ذي الطعم

الطيب ولرائحة الزكية. مما يدل على أن هذا النبات كان ينمو بقوة في هذا الحوض. وربما اكتسب حوض الغرابية اسمه من كونه مرتعا للغربان.

وينسب إلى ايدون من لهم تراجم: عبد الرحمن بن عيسى بن سرور الإيدوني الدمشقي الصالحي الشافعي. ولد سنة 767 هـ في دمشق، أصله من ايدون. ومات سنة 840 هـ. ومحمد بن موسى بن عيسى الإيدوني العجلوني الأصل الدمشقي الشافعي. جاور في مكة سنة 893 هـ. وكذلك الشيخ المقرئ أحمد بن يحيى بن محي الدين بن أمين الدين بن محي الدين الإيدوني الشافعي المقرئ المجود. توفي سنة 978 هـ.

الحصن

الحصن مدينة قديمة العهد، وإن كان هذا الاسم لا يتعدى عشرة قرون. وتقع لى خط طول 54َ 35ْ شرقا، وخط عرض 19َ 31ْ شمالا. وهي حاضرة لواء بين عبيد حاليا. وكانت حاضرة ناحية بني عبيد منذ القرن التاسع عشر. ويميزها تلها الصناعي، إذ يرجح أنه صناعي وتراكم قلاع مهدمة على مدى آلاف السنين. ويحوي هذا التل تاريخ الحصن وما حولها. ولم يجر فيه تنقيب إلا عينات قليلة. وآخر قلعة عليه بناها أحمد بن ظاهر العمر الزيداني. ولم يكمل بناء الطابق الثاني إذ هرب قبل إتمامه بعد أن لاحقته الدولة العثمانية سنة 1774. وذكر الدكتور زيدون المحيسن، أستاذ الآثار في جامعة اليرموك، أن بدايات الحصن تعود إلى العصر الحجري النحاسي (3750–3200 ق. م.) وفي العصر البرونزي المبكر (3200–2000 ق. م.) قامت في المنطقة ممالك المدن، وربما كان للحصن نصيب منها. ازدهرت مطقة الحصن كما حولها إبان حكم الأسرة المصرية التاسعة عشرة (1550–1200 ق. م.) واشتهرت لحصن وما حولها حتى وقت حديث، بزراعات الحبوب وأشجار الفواكه وبخاصة العنب والتين والزيتون. وازدهرت مدن الممال في الفترة (1410–1340 ق. م.9 كما تدل عليه رسائل تل العمارنة. وأظهرت مقبرة وجدت أسفل التل من الشرق ان للحصن أهمية واضحة. وربما ظلت تحت الحكم المصري في أثناء قوة هذا الحكم (1200–539 ق. م.). وقد وجد أحد أبناء العمومة ختم الخنفساء المصري على ظهر التل. على أن عدة ممالك آرامية في الفترة من 1100 ق. م. كما ظهرت دولة إسرائيل وعاصمتها شكيم أو السامرة بجانب نابلس في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد. وسجل حجر ميشع انتصار ملك ذيبان، ميشع، على عمري ملك إسرائيل. ثم دخلت الحصن في نفوذ آشور بعد انتصار الملك شلمناصر (745–727 ق. م. بعد معركة قرقرة سنة 854 ق. م. وحاصر

صارجون الثاني السامرة سنة 722 ق. م. وقهرها وأجلى 27290 من أهلها كما سجل. وجاء الكلدان بعد الأشوريين وعاصمتهم بابل. ووسعوا نفوذهم غربا مصطدمين مع المصريين. وكان ملك يهوذا وعاصمتها أورشليم قد أخطأ الحسابات وانضم إلى المصريين. فحاصر نبوخد نصر أو أحد قادته أورشليم وقهرها سنة 586 ق. م. وفعل ما فعل. ثم دخلت المنطقة في النفوذ الفارسي. وبعد موت الاسكندر وتقسيم مملكته كانت هذه البلاد من نصيب القائد سلوقيوس. كما ظهرت في جنوب الأردن وفلسطين مملكة الأنباط. ولمقاومة نفوذهم، أنشأ الامبراطور الروماني بومبي سنة 64 ق. م. حلف الديكا بوليس من عشرة مدن، وربما أكثر، في الأردن وفلسطين وسورية. ومنذ سنة 324 م وبعد رفع الاضطهاد عن النصارى ولنصرانية أيام قسطنطين بدأت حمى بناء الكنائس في الدولة البيزنطية. ولا شك أن للحصن نصيبا منها، كما تدل على ذلك بعض الآثار وكثرة الفسيفساء فيها. ثم دخلت في العهد الإسلامي منذ 640 م.

وكيف اكتسبت الحصن اسمها؟ لا نعرف اسمها فبل الفتح الإسلامي. اما الجغرافيون الإسلاميون، ومنهم البكري في "معجم ما استعجم"، فيذكرون بلدة حصن مقدية، من قرى البثنية، في الجنوب من حوران، التي مدينتها أذرعات؛ وأنها أطيب بلاد الله خمرا. وذكر ياقوت الحموي مقدية وحصن مقدية. وأن مقدية من قرى الشام من أعمال أذرعات، تقع في طرف حوران. وذكر لسان العرب عن مَقَد: من قرى البثنية. والمقدِية (خفيفة الدال) قرية بالشام من عمل الأردن. وعلينا أن تذكر أن جند الأردن كانت البلقاء حدوده الجنوبية وحاضرته طبرية ويصل للبحر الأبيض المتوسط. وذكر غيره المقَدي شراب من العسل منسوب إلى قرية بالشام. وقل الشاعر:

علل القوم قليلا   يا ابن بنت الفارسية

إنهم قد عاقروا   اليوم شرابا مقدية

وأنشد الليث:

مَقَديّ أحله الله للناس   شرابا وما تحل الشمول

وذكر الشاعر الأموي عدي بن الرقاع خمر حديجة أو حديجاء في قصيدة مدح بها الوليد بن عبد الملك مطلعها:

غُشيت بعفرى أو برجلتها معا رمادا وأحجارا بقين بها سفعا

إلى أن يقول:

مقدية صهباء تثخن شَربها إذا ما أرادوا أن يروحوا بها صرعى

عصارة كرم من حديجاء لم يكن منابتها مستحدثات ولا صرعى

ويظهر أن شهرة خمرة مقد كانت في أيام الجاهلية كما قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

وهم تركوا ابن كبشة مسلحبا فقد شغلوه عن شرب المقدّ

وقال العرجي:

كأن عقارا قرقفا مقدية أبى بيعها من التجر خادع

وحديجاء هي من أحواض بلدة الحصن جنوبها. وبجانبها حوض آبار العسل. فهل من علاقة بينهما؟ وذكر لي والدي عن رجل هرب ومن نجا من أهله من قوم طلفاح من وباء مهلك في القرن التاسع عشر، أن حديجاء وقت ذاك كانت مشهورة بالتين.

وقد تكون مقد ناحية بها عدد من القرى، وحصن مقدية وحديجاء من قراها. ولا نعرف عن مقدية أو حصن مقدية في أيام العباسيين شيئا. إلا أن اسم مقدية ظل متداولا. ويدل على ذلك اسم أسود بن مروان المقدي الحصني المتوفي سنة 360 هـ/971 م. وهو من رواة الحديث. ترجم له ابن عساكر بقوله كان من أهل حصن مقدية من أعمال أذرعات من دمشق. وروى بإسناده إلى أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن. أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين" تفرد به المقداد. وربما مع الزمن سقط استعمال كلمة مقدية وصارت البلد تعرف باسم الحصن. تدل على ذلك نسبة الشيخ تقي الدين الحصني المولود سنة 752هـ/1251م. وهو الإمام العالم الفقيه تقي الدين بن محمد الحسيني الحصني (مسبة على الحصن) ثم الدمشقي الشافعي. ووالده محمد مقبور في الحصن على التل، وكان مقاما يزوره الناس لقضاء حاجاتهم، وقد أدركته والبناء قائم. وتقي الدين كان معاصرا لابن تيمية وله مآخذ عليه. وله مصنفات كثيرة. ونى في الشاغور رباطا عرف بزاوية الحصني. ومات سنة829/1426. وممن ينسب للحصن وهو من

سكان دمشق، محمد أديب بن محمد بن عبد القادر تقي الدين الحصني الحسيني. ولي نقابة أشراف الشام. وله كتاب "منتخبات التواريخ لدمشق" في ثلاثة أجزاء. ومات سنة 1358 هـ. واصل أسلافه من الحصن.

ونجد ذكر الحصن في دفتر طابو رقم 401 (سنة 1453) مركزا لناحية بني عقبة. وبنو عقبة هم بطن من جذام كانت منازلهم حول الكرك منذ الفتح الإسلامي. وفي القرن التاسع عشر انتقلوا شمالا. وشلت ناحية بني عقبة قرى: الحصن وهي مركزها الناحية ورحابة وسراس والكفير ومسكايا وصمد ودير المساريط وراكسة. وكان يسكن الحصن سنة 1596 24 أسرة و15 عزبا. وتنتج الحنطة والشعير والحمص والخضار، وتربي الأغنام. وملك أبو قاعود الحصن بعد منتصف القرن السابع عشر. ثم دخلت الحصن وقرى أخرى ناحية بني عطية منذ أواخر القرن التاسع عشر، نسبة على عشيرة بني عطية العربية. وتضم هذه الناحية قرى: دير مساريط وصمد ومسكاية وسراس وكفير ورحابة وراعية. ونشأت في هذه الفترة ناحية العسر من 29 قرية ليست الحصن منها. وغاب ذكر الحصن في دفتري طابو لسننتي 1523 و1524. لكن دفتر طابو لسنة 1596 ذكرها عامرة كما أسلفنا. وعلينا أن نراجع سجلات الطابو العثمانية سنة فسنة لنتبين عمارتها في أثناء الحكم العثماني.

لكننا نعرف من روايات الأجداد أن الحصن كانت مأهولة منذ بداية القرن الثامن عشر. وجاء جدنا إبراهيم بن صطفى نصير من تيماء حوالي 1740، وأصل أهله من سكاكة من الجوف شمال غرب السعودية حاليا. وكان في الحصن عشيرتا الدويري والهزايمة. وتزوج من الهزايمة وصار عديلا لشيخ القرية من المومنية. والمعلوم أن العثمانيين تركوا الإدارة في شرق الأردن لشيوخ القرى فكل شيء. وبعد مدة، صار إبراهيم شيخ القرية وجلت عشيرتا الدويري والهزايمة عن الحصن. ثم جاء أجداد آل غنما وسكنوا الحصن ربما حوالي 1760. وأراد ظاهر العمر توسيع نفوذه إلى شرق نهر الأردن فأرسل ابنه أحمد إلى تبنة في الكورة. وهناك بنى قلعة ومسجدا. في أواخر 1769. ثم انتقل للحصن، وبدا يبني قلعة على ظهر التل. وكانت الدولة العثمانية قد بدأت في ادحر ظاهر العمر. فهرب ابنه أحمد من الحصن في قصة نتوارثها عن الأجداد. وصارت الحصن جذابة للنصارى الذين بدأوا يتوافدون عليها من عدة جهات حتى صاروا الأغلبية. وكان لوجودهم أثر إيجابي على التعليم. وتأسست مدرسة الروم الأرثوذكس سنة 1870. وتأسست مدرسة أخرى للاتين سنة 1889. كما فتحت مدرسة للبنات. وافتتت مدرسة رشدية حكومية سنة 1893. وتأسست بلدية

الحصن سنة 1908. كما كانت الحصن حاضرة ناحية بني عبيد التي تشكلت حوالي 1633. وضمت قرى: الحصن والصريح وإيدون وناطفة وجحفية والمزار وصمد وكتم والنعيمة وصخرة سنة 1871.